المكتبة الثقافية

تجربتي مع نجيب محفوظ

د. عادل محمد عطا إلياس

المكتبة الثقافية
٤٥١



د. عادل محمد عطا الياس


الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

مقـــــــدمة

تمر على المرء تجارب كثيرة مرة وحلوة يشيد ببعضها ويحاول أن يتناسى البعض الآخر اما لكونها تجارب مريرة أو لأنها فاشلة يريد أن تكون فى طى النسيان ·

وتجربتى مع نجيب محفوظ تجربة حلوة اشـــدت بها وساشيد بها دوما لكونها من تلك التجارب التى يتعلم منها المرء الكثير والتى تفتح امام عينيه آفاق المعرفة ودروب العلم والبحث والتقصى ·

ومن عنوان البحث يظهر للقارىء بأنه يتسم بالذاتية الشخصية إلا انه فى ذات الوقت يدور وبشكل موضوعى فى اطار عبقرية كاتب فذ ومبدع عظيم ورائد من رواد الرواية العربية والعالمية على حد سواء ·

مادفعنى الى خوض هذا المضمار الصـعب هو اننى كنت دائما أتوق الى ابراز تجربتى مع هذا الكاتب العظيم الى النور وهى وان كانت تجربة شخصية الا أنها لا تخلو من العموميات لانها كما نوهت تقوم حول عقل وفكر مفكر كبير مثل نجيب محفوظ وعندما أشير الى صعوبة الموضوع فمعى عذرى فهوليس بالموضوع السهل لاسباب عدة أولها وأهمها هو أنه خلاصة تجربةمعالعبقرية والفكر والفلسفة وثانيها انه مع كاتب نال لتوه جائزة نوبل للآداب لعـام ١٩٨٨م وبالتالى فقد كتب عنه ماكتب حتى انه يمكننا ان نتصور أن ما كتب عنه فى هذه الفترة الوجيزة وبعد نيله الجائزة العظيمة قد يفوق بكثير ما كتب فى السنوات الطويلة من عمره المديد وهذا الأمر فى نظرى ما هو الا صحوة الأمل فى الأدب العربى وصحوة جواد الثقافة من كبوته وعلامة مبشرة بالخير لمن سيأتى بعد الكاتب الكبير الذى أعطى وأعطى ومازال يعطى أدبنا العربى الكثير من درره النفيسة والذى أسبغ عليه طابع العالمية ٠

وقد يتصور البعض بأن نجيب محفوظ بنيله جـائزة نوبل الكبيرة قد جعل الأمر مستحيلا لمن سيأتى بعده أن ينال هذه الجائزة ونقول بأن محفوظ وكما صرح مرارا عندما بدأ فى الكتابة واستمر طوال عمره المديد فى العطاء لم يفكر فى الجوائز ولم يجعلها مبلغ طموحه وغاية وهدف أمله بقدر ماكان تفكيره وغايته وهدفه كلها منصبة على تبليغ رسالة نبيلة وعلى دراسة النفس البشرية والانسان

البسيط العامل وعلى مشكلات عصره.والصراعات الطاحنة التى تقف حجر عثرة أمام تقدم الأمم وأمام الفرد البسيط الذى يكون دعامة أساسية من دعامات الأمم • كان يبحث عن الانسان وفى الانسان وفى حنايا نفســـــه • كان الهدف ساميا ولم يكن من وراء هذا الهدف أى مطمع لشهرة أو مركز أو جائزة هى فى حد ذاتها شعار ورمز فقط • لذا فقد حصل على الجوائز الكثيرة ومنها جائزة نوبل أما من يكتب ويكتب واضعا نصب عينيه أهدافا عينية ومادية فهو لن يصل الى شىء فى مهبط رأسه ناهيك عن العالمية •

الفصـــل الأول

وحتى أدخل فى طلب الموضوع وهو تجربتى مع نجيب محفوظ أود أن أبدأ القول بأن هذه التجربة العظيمة يعود تاريخها الى عام ١٩٧٧ م ، وذلك عندما كنت أفكر جادا فى موضوع لرسالة الدكتوراه فى جامعات أمريكا وتصادف وجودى فى مصر فى طريقى الى أمريكا وكان أن التقطت وبمحض الصدفة المحضة قصة « اللص والكلاب » ربما لما يوحى عنوانها للقارىء مما تحمله من مغامرات بوليسية أو ربما لان صورة الغلاف المثيرة قد شدت انتباهى ·

فى ذلك الحين تساءلت بينى وبين نفسى بعد قراءة اسم المؤلف « نجيب محفوظ » من هو نجيب محفوظ هذا ؟ ، ولكن لا يهم من هو المؤلف طالما سأجد قصة بوليسية أمضى

معها وقتا قبل أن أخلد للنوم ·· وبعد قراءة القصة لم أستطع أن أقاوم اعجابى بها ولكن ظل هناك شىء ما يجذبنى اليها وكأنما يقول لى « قف ·· هنا موضوعك وهو يكمن بين هذه الصفحات وكل ما عليك هو أن تعيد قراءة القصة وستجده » وقرأت القصة مرات ومرات وفى كل مرة أقرأها أجد أننى وقعت على حقائق جديدة وانني أمام عبقـــرى وجاءت فكرة الرسالة وأعجبت بها خاصة وان من أكثر مدارس الأدب كان شـــغفى ومازال شـــديدا بالرمزية والدراسات النفسية المعقدة والتى تتسم بالغموض والحيرة وتجر القارىء وبدون وعى منه الى استخدام العقل والمنطق والتفكير بروية وتؤدة فى كل جملة يقرأها محاولا ايجاد حل أو مغزى أو معنى لهذه الجملة أو تلك · أو بمعنى آخر انها تحدى لعقل القارىء ان قبله يجد المتعة الفكرية وان رفضه فهو على الأقل قد أمضى وقتا ممتعـــا مع الرواية المعنية · ولذا قبلت التحدى وقررت أن تكون قصة « اللص والكلاب » هى موضوع رسالتى لنيل درجة الدكتوراه . ولم أندم على هذا القرار الحكيم الذى فتح المجال أمامى واسعا ليس لسبر أغوار كاتب كبير ولكن أيضا لكى أتمتع ولو باطلالة وجيزة على الأدب العربى عامة وهو ما كنت أجهل عنه الكثير ·· وكنت مع كل سطر أقرؤه يحضر الى مخيلتى جميع كتاب اللاوعى أو تيار الشعور العالميون ليس لأن محفوظ قد أخذ عنهم هذا الأسلوب المعقد بل لأن محفوظ بدأ فى استخدام أســـلوب اللاوعى الأوربى الأصـــل والذى استخدمه جيمس جويس لأول مرة فى شكله الأدبى المعروف وتبعه آخرون من أوربيين وأمريكيين وغيرهم ، استخدمه واجاد استخدامه وتوظيفه تبعا لأغراضه الفنية وذلك بعد أن وضعه فى قالب عربى مميز ·

بدأ محفوظ فى « اللص والكلاب » وما تبعها من روايات، مرحلة الرمزية فى استخدام هذا الأسلوب بشكل جدى وهو وان كان يستخدم أسلوبا غربيا وجديدا عليه الا أنه وبمقدرة فائقة وبشكل عبقرى طوع هذا الأسلوب حتى يتناسق مع طبيعة الانسان العربى المعاصر ومن الصعب - بل ويمكن أن نقول من المستحيل - ان نجد فى سعيد مهران أى تشابه وشخصيات أخرى عالمية مثل ديدالوس بطل جيمس جويس الذى كان هو الآخر مثل سعيدمهران يبحث عن ذاته فمن النظرة الأولى نجد أن الأول انسان عربى معاصر من الطبقة المتوسطة اجتماعيا - ان لم يكن دون ذلك - ساقته اقداره وسوء تقديره للأمور وعواقبها الى حتفه المحتوم أما الآخر فهو أوربى ينتمى الى مجتمع غربى وتقاليد غربية وتفكير غربى تحكم تصرفاته وأحكامه وقراراته .

اذن هذه احدى ابداعات الكاتب القدير المبدع وهو البعد عن التقليد والالتزام بتقاليد مجتمعه العربى والاسلامى والتركيز على الانسان العربى المعاصر وان كان فى سبيل ذلك قد استخدم أسلوب غربيا .

وشكل آخر من أشكال الابداع لدى نجيب محفوظ فى تأثره بأسلوب تيار اللاوعى هو أنه وان كان - ولو بطريق غير مباشر - قد تأثر بهذا الأسلوب عن جويس أو غيره الا أنه وبعد تطويعه واستخدامه فنيا أستطيع أن أقول وقد لا يوافقنى الكثير انه بذ جويس وولف وهمنجواى وغيرهم أولا استخدم نجيب محفوظ الأسلوب الجديد وهو أسلوب تيار الشعور لشخصية واحدة أو لنقل لعقل أو وجدان واحد طوال الوقت هو عقل سعيد مهران فى قصة « اللص

والكلاب » وهذا ما لم نجده في جيمس جويس أو فرجينيا وولف أو وليم فولكنر • وهو فى استخدامه لهذا الأسلوب وبهذا الشـــكل أثبت مقدرته الفائقة فى مجاراة الكتاب العالميين فمنذ اللحظة الأولى تقريبا نعيش مع تيار الشعور لسعيد مهران الذى يتنسم نسمات الحرية لأول مرة بعد سنين أربع قضاها وراء القضبان وتبدأ الأحداث وتبدأ حيرة القارىء وتشتته للوهلة الأولى الى أن يتأقلم مع أسلوب تيار الشعور ليشعر بعدها بأن كل ما سرد عليه لم يكن سوى أحداث وأفكار ووجهة نظر صـــادرة عن تيار شعور مهران الذى غلبه حقده وكراهيته للمجتمع ورغبته فى الانتقام من هذا المجتمع على أن يرى كل شىء أو ينظر الى كل شىء بمنظار الواقع • ومن مميزات هذا الأسلوب أو لنقل من أهم مميزات هذه الطريقة وهى طريقة الصراع النفسى لشخصية واحدة وتيار الشعور لسعيد مهران فقط ان القارىء مخير فى نهاية الأمر فى أن يصدق أو لا يصدق حقيقة تلك الأحداث والوقائع ، فمن أدرانا أن سعيد مهران كان صادقا فى كل ما قال • كيف نصدق ونحن لم نسمع أقوال عليش سدرة أو نبوية أو رؤوف علوان أو غيرهم • هل ظلم سعيد مهران حقا أم أن حقده وكراهيته صورا له ذلك فقط ؟ وتظل مثل هذه الأسئلة وغيرها تدور فى رأس القارىء بعد أن ينهى قراءة القصة وفى الحقيقة فان هذه الأسئلة المحيرة هى ركيزة التحدى التى أرسى دعائمها نجيب محفوظ وهى فى الواقع ما شدنى الى قصة (اللص والكلاب » وجعلنى أقبل التحدى وأحاول أن أكون لنفسى فكرة أو نظرية تجيب على كل الأسئلة بالنقد والتحليـل والدرس والتمحيص ولكن هيهـــات فعلى الرغم من كل

الدراسات والتحليلات يظل السؤال المعهود يطرح نفسه مرارا وتكرارا ما أدراك بصدق سعيد مهران ؟ انها وجهة نظره الشخصية فقط ٠

وثانيا : لم يقف محفوظ مكتوف اليدين بعد « اللص والكلاب » بعد أن وجد أن هذا الأسلوب هو الأسلوب الأمثل لعرض ما عنده من أفكار وفلسفة ودراسة للفرد فجرب قلمه واستخدم أسلوب تيار الشعور الرباعى والثلاثى وغيرها مثبتا بذلك بأنه لا يقل باعا من الكتاب العالميين الآخرين ٠٠ ففى رواية « ميرامار » مثلا يستخدم محفوظ أسلوب سرد تيار الشعور لاربع شخصيات هى عامر وجدى وحسين علام باهى وسرحان البحيرى وهنا يختلف الأمر تماما ففى « اللص والكلاب » كنا نعيش مع تيار الشعور لشخصية واحدة وخواطر شخصية واحدة ووجهة نظر واحدة ، اما هنا فاننا نعيش نفس الأحداث أربع مرات حيث يعطى الكاتب الفرصة لكل شخصية فى التعبير عن خواطرها ووجهة نظرها على حدة بعد أن أفرد لكل شخصية جزء خاصا بها وفى نهاية الرواية فالقارىء هو الحكم وهو قادر على أن يحكم ـ وبصدق ـ بأييهم أصدق من الآخر وقد ينحاز الى أحدهم وان كنت أعتقد بأن معظم القراء سيكونون فى صف زهرة والتى كانت هى محور أفكار الشخصيات الأربع والتى يذهب معظم النقاد بكونها رمزا لمصر الشامخة المعتزة بنفسها والمحافظة على كرامتها والصامدة بعزم على الرغم من كل الأزمات ٠

وعلى ذكر أسلوب تيار الوعى الرباعى وعلى ذكر رواية « ميرامار » يجذبنى تيار الشعور والذاكرة الى تذكر رواية الكاتب الأمريكى العظيم وليم فولكنز « الصوت

والغضب »(١)، حيث تدور أحداثها هى الأخرى فى نفس المحور وعن طريق تيار الشعور لاربع شخصيات رئيسية ثلاث منها من عائلة كومبسون والرابعة هى الخادمة العجوز أو المربية التى تنهى الرواية بما لها من تجربة وحنكة وعقلانية . والجدير بالذكر ان الكاتب يبدأ أحداث روايته عن طريق تيار الشعور لبنجى كومبسون المختل عقليا وكأنما يريد أن يظهر لنا مدى تردى هذا العالم فيما لا طائل تحته وليطبق المثل العربى القائل « خذوا الحكمة من أفواه المجانين » . ويشارك بنجى فى عملية السرد كل من أخويه كونتن وجيسون. أما أختهم كانديس أو كاندى فلا دور لها فى عملية السرد على الرغم من أنها أيضا تشكل المحور الرئيسى لافكار وخواطر الاخوة الثلاث والخادم العجوز دليزى .

ويستمر محفوظ فى المسيرة ، مسيرة الرواية النفسية المعقدة فيطالعنا فى رواية « الشحاذ » مثلا بالبطل الفرد مرة أخرى ولكن هذه المرة يتم السرد المعقد عن طريق المنولوج الداخلى لعمر حمزاوى الشاعر الفاشل الذى الذى يدخل فى صراع مستمر مع ذاته ويتخبط فى حيرة لا آخر لها ولا أول .

وفى « أفراح القبة » نصطدم بطارق رمضان وكرم يونس وحليمة الكبس وعباس كرم يونس . ولو عدنا للثلاثيات نجد أن خير مثال هو « فى يوم قتل الزعيم » حيث نعيش مع تيار الشعور لكل من محتشمى زايد وعلوان فواز محتشمى ورنده سليمان مبارك . ويضيق المجال حقا هنا لذكر كل ما كتب من روايات فى المرحلة النفسية التى تتسم بنفس الطابع المعقد لاسلوب تيار الشعور ولكن لا

يضير أن نذكر بعضا من هذه الأعمال بالاسم مثل « اللص والكلاب» و « السمان والخريف » و « الشحاذ » و « ثرثرة فوق النيل » و « ميرامار » و « الحب تحت المطر » و «خمارة القط الاسود » و « « الطريق » و « المرايا » و « قلب الليل » و « حضرة المحترم » .

ويمكن للمرء أن يقارن بين هذه الأعمال وبين الأعمال

العالمية مثل « صورة الفنان فى شبابه »(٢) .. لجيمس جـــويس و « يوليسيس »(٣) لنفس الـــكاتب و « الى الفنـــار »(٤) و « مـــدام دالويه »(٥) لفرجينيا وولف و « الصوت والغضـــب » لوليم فولكنر و « العجـــوز والبحر »(٦) .. فى معظم أجزائها ـ لارنســت همنجواى وغيرهم كثير بطبيعة الحال .

من كل ذلك يتضـــح لنا جليا بأن نجيب محفوظ كان عملاقا بمعنى الكلمة عندما غامر لأولمرة وقام باستخدام أسلوب تيار الشعور فى كتاباته ولم يقتصر فى اســتخدام الأسلوب من جانب واحد بل تعداه فاستخدمه مع جميع جوانبه من حيث المنولوج الداخلى والمنـــاجاة وخواطر الشخصية وحديثها الباطنى مع نفسها وتيار الشعور العام والمنولوج غير المباشر الى آخر ذلك من أشكال أسلوب تيار الشعور واللاوعى وكل ذلكبعد وضعه فى قالب عربى محلى يتناسب مع الشخصية العربية كما نوهنا سابقا .

ولكن على الرغم من هذاالزخم الكبير فى الانتاج وهذا أقصد فى اطار الرواية النفسية والتحليلية مازلت أعتقـــد ـ وهذا رأى خاص ـ بأن قصـــة « اللص والكلاب » هى المفضلة وهى التى تعبر تعبيرا قويا صادقا عن روح العصر

وتعطى صورة متكملة عن ماهية أسلوب تيار الشـــعور وبالطبع هذا لا ينفى بأى حال ما لباقى المجموعة من مكانة وقوة من حيث الفكرة والحبكة واللغة ·· فـــكل ما يكتب نجيب محفوظ يعتبر تحفة فنية بحق وكل أعمــــاله محببة وأفضل ما يقال هنا لاظهار مكانة هذه الأعمال جاء على لسان محفوظ نفسه مؤخرا عندما سئل أى أعمالك أحب الى نفسك فصرح بأن الثلاثية و « أولاد حارتنا » تأتى فى المقدمة الا أنه استطرد قائلا وعلى كل حال «فكلهم أولادى» كما يقولون · وله الحق فى أن يفخر بأولاده جميعا كما يفخر أولاده جميعا به ·

الفصـــل الثـــاني :

وعودة الى التجربة بدأت فى قراءة محفوظ بشـــكل موسع • قرأت له وقرأت عنه بل وأجريت معه أحـــاديث مختلفة فى مناسبات عدة وذلك عامى ١٩٧٦ و ١٩٧٧م فى مرحلة الاعداد للكتابةوكان ذلك فى كازينو بترو بالاسكندرية وقابلت من قابلت من أعلام الفكر والأدب فى مصر حتى اكتملت لدى المعلومات المطلوبة للرسالة •• وكان ان كتبت الرسالة التى تطرقت فيها وبشىء من الايجاز الى حياة الكاتب ومن سبقه من الرواد ومعاصريه وكذلك الى أعماله عموما • ثم قسمت الرسالة الى قسمين أولهما دراســـة تحليلية نقدية كاملة لقصـــة « اللص والكلاب » وثانيهما ترجمة كاملة الى اللغة الانجليزية أيضـــا لقصة « اللص

والكلاب » ولا أستطيع مهما حاولت أن اعبر عن مدى اعجاب الامريكيان بقصة « اللص والكلاب » حتى ان طابعة الآلة كانت تتصل بى فى أى وقت تستحثنى على انهاء الاجزاء التالية من القصة حتى تشبع فضولها وتعرف نهاية سعيد مهران ٠٠ كل ذلك ملأنى فخرا لأننى احسنت اختيار الموضوع وقد صرح لى المشرف على الرسالة واللجنة الممتحنة بأنهم لم يسمعوا عن محفوظ هذا من قبل وأبدوا دهشتهم لوجود كاتب عظيم مثل محفوظ فى أدبنا العربى ، وصرح رئيس اللجنة بأن محفوظا لو كان امريكيا لوضعت الدولة أعماله فى مقدمة الأعمال الأدبية ولصنعت له تمثالا من رخام ٠

اذن فنجيب محفوظ كان عالميا منذ فترة طويلة تربو على عشرة أو عشرين عاما الا أن التقصير كل التقصير يقع على عاتقنا نحن جميعا فى عدم اعطاء ترجمة أعمالنا الأدبية الى مختلف اللغات الأجنبية الأهمية التى تستحقها من ناحية وفى تهويننا وعدم ثقتنا بأنفسنا وبقيمة أدبنا ومكانته من ناحية أخرى ٠

ولو انتقلنا بالتجربة الى الشق الثانى وهو الترجمة لحق لنا القول قطعا ان الترجمة قد أصبحت فنا من الفنون وأبعد ما تكون عن العشوائية أو الحرفية أو الاجتهاد ٠٠ والمخرج السينمائى والمترجم تواجههما دوما عدة مشكلات من أهمها الامانة العلمية والأدبية فى نقل أفكار المؤلف بصدق وواقعية سواء على الشاشة أو على رقعة الورق ٠ الا أن القصة أو الرواية فى يد المخرج أحسن حالا فهو على الأقل مخير فى أن يضع الفكرة المحورية لرواية مؤلف ما فى قالب جديد ويقدم الرواية برؤية جديدة ومن وجهة نظر

المخرج نفسه كل ذلك بدون أن تفقد الفكرة اطارها العام أما المترجم فهو ملتزم بل وملزم فى جميع الأحوال بأن يحافظ على الاطار العــــام للفكرة من جهة وعلى ان يتعامل مع الرواية فى حدود النص فقط وبدون بلورة أو ابداء وجهات النظر أو مايشابه ذلك • الى جانب ذلك كله يجب أن يضع المترجم كل ذلك فى قالب وأسلوب أدبى يتناســب ويتلاءم والعمل القائم بترجمته •

وتماما كالمخرج الناجح يجب على المترجم أن يتعايش فى ويتوغل ويتغلل مع الرواية أو القصة ويستوعبها تماما محاولا ادراك الحقائق المطلوبة مثل ما الهدف من كتابة هذه الرواية : لماذا جاءت فى شكلها الحالى ؟ وهنا نعنى البيئة الروائية والأسلوب اللذين أتبعهما الكاتب فى كتابة روايته •

وكما اسلفت فان المترجم الناجح ماهو الا فنان وقد قيل ان المترجم مبدع بمعنى انه قد أخرج عملا جديدا وان لم يكن هو من كتبه لان اخراجه فى ثوبه الحالى الجيد وبلغة أخرى قد ينظر اليه وكأنه عمل ابداعى أو كأنما هو قد كتب رواية جديدة باللغة المترجم اليها •

ولا اغالى البته عندما أصرح بأننى قد ترددت كثيرا فى ترجمة « اللص والكلاب » الى اللغة الانجليزية وذلك بعد أن انهيت الجزء الرئيسى من متطلبات رسالتى وهو الجزء الخاص بالنقد والدراسة والتحليل لنفس القصة لعدة أسباب وأول هذه الأســـباب هو ما يتعلق باللغة وأخص بالذكر هنا اللغة العربية فالترجمة من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية أسهل بكثير من الترجمة الى اللغة الانجليزية

وذلك لصعوبة اللغة العربية من حيث تكوين الجملة واللفظ وأساليب البلاغة المنتقاة بدقة وحرص متناهيين من قبل المؤلف بل أيضا ولصعوبة الكلمات نفسها أحيانا وهنا لا أشير الى الكلمة أو الكلمات او حتى الجمل بمعناها الحرفى بل بما ترمز اليه أو بمعنى أدق بما يريد المؤلف ان ترمز اليه تلك الكلمات والجمل والتراكيب والالفاظ اللغوية وغير ذلك ٠

كل هذا كان من الممكن التغلب عليه بقليل من الصبر ولكن العقبة الكؤود كانت تكمن فى ان قصة «اللص والكلاب» قصة تعتمد على أسلوب اللاوعى أو أسلوب تيار الشعور وهنا كان يجب أن الج مع نجيب محفوظ نفسه فى وعى الشخصية وفى وجدان سعيد مهران حتى أتمكن من الاحاطة ببواطن الأمور ومن معرفة خواطر هذه الشـــخصية على المستويات الشخصية ومدى تطور حدة الصراع ومدى تأثر وعى ســعيد مهران بما حوله ومن حوله الى آخـر هذه العناصر المؤرقة للمترجم ٠ أضف الى ذلك ان الوصـــف والسرد كلها تأتى بطريقة عشوائية وكما يفكر فيها العقل وبدون ترتيب لجمل معينة او لزمن أو لفكرة ٠ بعد كل هذا تبرز مشكلة أكثر تعقيدا من كل ما سبق ذكره وهى أم المشاكل للمترجم أو على الأقل بالنسبة لى فى ذلك الوقت وهى اننى أترجم لنجيب محفوظ أو بمعنى أصــح لكاتب متمكن ودارس وفيلسوف وضع كلكلمة فى روايته بحرص وحذر وان كانت أفكار سعيد مهران أفكارا عشوائية طبقا لما يفكر فيه فى لحظة معينة ، الا أن انتقاء نجيب محفوظ لكلماته وجمله وعباراته لم تكن عشـــوائية فكل كلمة بل أستطيع أنأقول كل حرف وكل فاصلة أو علامة تعجب أو

علامة وصل ، كلها وضعت لتعني شيئا أو لتكون لبنة من لبنات التكوين الروائى للقصة وبنية اساسية لتطوير الحبكة والحدث تساعد على فهم وعى الشخصية وحالة سعيد مهران النفسية والصراع النفسى الرهيب الدائر رحاه فى وجدان البطل · هذا كله الى جانب ان محفوظ أستتاذ اللغة وفارسها هو أيضا من اساتذة لغة التصوير ، فنجد مثلا ان « اللص والكلاب » لا تخلو من الصور الشعرية والأخيلة المستمدة من واقع البطل فى ماضيه وحاضره ومستقبله الذى يعيش معه من خلال أحلامه وآماله الضائعة ·· ويمكن التدليل بالأمثلة والأمثلة على ذلك كثيرة ويمكننا ان ننظر الى القصة تلك النظرة الشمولية فيما يخص اللغة فنقسمها الى أربعة أقسام عامة بحيث لو أمعنا النظر لوجدنا ان محفوظا يختص كل قسم منها بشكل وقالب معينين فى اللغة وذلك من حيث انتقاء الكلمات والعبارات والألفاظ اللغوية وتختلف كل منها باختلاف الفكرة التى تدور فى عقل ووجدان سعيد مهران والتى هى بدورها تحدد لنا مع أى الاقسام سوف نكون فى تلك اللحظة المعينة وبالطبع لا يوجد هناك ترتيب معين يحدد متى وكيف وأين يبدأ كل قسم حيث يعتمد ذلك أيضا على تيار الشعور الخاص بسعيد مهران الذى يتنقل من قسم الى قسم بدون نظام مرسوم ·

مثلا عندما يرزح سعيد مهران تحت وطأة فكرة أو أفكار معينة تؤلمه ذكراها تميل الجمل فى بداية تفكيره الى القصر كما انها غالبا ما تكون جملا مكتملة من حيث الفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب والنقاط فى نهاية كل جملة ولكن كلما أخذ منه الفكر مأخذه وقاربنا على

نهاية الفكرة حيث تتسم أفكار سـعيد بالألم والحسـرة والاكتئاب والغضب نجد أن الجمل تزيد طولا كما ترقمها فى أغلب الوقت الفواصل الكاملة أو المنقوطة وقد تبدو بعض هذه الجمل عير مكتملة نظرا للحالة النفسية التى تكون قد أخذت مأخذها من البطل وقد يقطع النوم هذا السـيل العرمرم من الانكار والتفكير أو قد يقطعه سماع سـعيد لصـوت يجذب انتباهه ويذكره ويوقظ فيه روح البقـاء فيتوقف هذا التفكير دون أن يصل الى نهاية معلومة · وأول مثال على ما نعنى ما جاء فى الفصل العاشر من القصة حيث نرى سعيدا فى منزل نور فى لحظة صراع دامى مع نفسه فيبدأ فى مناجاة طويلة بليغة مع ذاته فى الفقرة التى تبدأ بعبارة « ومضى الى حجرة الجلوس فاستلقى على كنبة · وحيدا بكل معنى الـكلمة ·· » وتنتهى المناجاة بالجملة الطويلة التالية « ولن ينسى فى النهاية انها امرأة كما أن نبوية امرأة خائنة جبانة سـيقتلها الخوف على حياتها حتى يلتف حبل حول عنقك وتستقر فى قلبك رصاصة مجرمة ويشوه البوليس سيرتك فينقطع مابينك وبين سناء الى الأبد حتى حبك لن تدرى عن صدقه شيئا كأنه رصاصة طائشة وكذلك ·· »

واختلس النوم سعيد مهران ·· « ص ١٠٥ » هنا تختفى حتى الفواصل تقريبا لتدل على تيار تتصـل من الفكر والألم لا توقفه فواصل وتنطوى المناجاة السابقة تحت لواء القسم الأول وهو ذلك القسم الخاص « بالخونة » · ولو نظرنا مرة أخرى الى تكوين الجملة لدى نجيب محفوظ خاصة وهو يستخدم تيار الشعور لامكننا أن نعطى مثالا آخر على ذلك من خلال تفكير سـعيد الدائم فى نفس الفئة ـ فئة الخونة ـ وفى جميع من يرغب فى الانتقام منهم ··

ونلاحظ أنه عندما يفكر سعيد مهران فى رؤوف علوان أو فى نبوية أو فى عليش نجد أنه يميل الى استخدام لغة صعبة وألفاظ معقدة وكلمات تقطر الما وحسرة كما تتعقد آراؤه وأفكاره وتميل هذه الجمل نحو البطىء والطول الى حد ما كى تعبر عن الأفكار والصور المتمثلة فى الخيانة والموت لذا فعندما يدور فكر ووجدان سعيد مهران حول هؤلاء تختفى كلمات الرقة والحنان التى سنلاحظ انه يستخدمها كثيرا فى تفكيره فى سناء ونور لاحقا لتحل محلها كلمات أكثر تعقيدا من حيث التكوين والمعنى مثل « الخيانة » و«الخونة» و « الكلاب » و « الثعابين » و « المؤامرات » وما شابه ذلك ٠

كذلك نجد أن القسم الخاص بالأجزاء التى تتناول الشيخ على الجنيدى يميل هو الآخر الى نفس التعقيد فى اللفظ والجملة ونجد أن أسلوب الكاتب هنا أيضا يتسم بطابع الجدية تبعا لجدية وصعوبة الموضوع الذى تتناوله هذه الأجزاء ٠ لذا فهو يميل الى استخدام لغة صعبة وكلمات معقدة وصور وأفكار فلسفية من الصعب ادراك معناها ومغزاها للوهلة الأولى وهى بذلك أشبه بذلك القسم الخاص الذى تتناول اجزاؤه « الخونة » لأنه من الصعب على سعيد مهران ادراك واستيعاب عالم الشيخ على الجنيدى ٠

أما القسم الثالث فهو القسم الخاص بسناء التى أحبها حبا جما صادقا ملك عليه كل مشاعره وسيطر على فؤاده ولا ننسى أيضا « نور » التى كان فى البداية يرثى لحالها ثم تطور الأمر وصرح لنفسه بجلاء انه يحبها حبا عظيما ٠ اذن نجد فى هذا القسم أن الحب يطغى على كل شىء وذلك

على الرغم من تفاقم الأحداث ووصولها الى الذروة ، فعندما يفكر سعيد مهران فى سناء نجد ان اسلوب يتغير بشكل جذرى فيصبح سلسا وتميل الجمل الى القصر والبساطة فى المعنى والتكوين الى حد ما وهى تعكس حبه العميق لابنته ورغبته فى العيش معها فى سلام وأمان فى اى مكان آمن يجود به الزمان · وهنا تبرز امامنا كلمات الحب والصدق مثل « حنان جارف » أو « فالتهمتها روحه » او « ألا تدرى كم يحبها » أو « المحبوبة » أو « المبتسمة » ، وبنفس الطريقة عندما يفكر سعيد مهران فى « نور » وخاصة فى الفصول الأخيرة من الرواية حيث تختفى كلمات العنف والقتل والرغبة فى الانتقام لتحل محلها الرقة والبساطة والحب وهكذا نجده يستخدم كلمات مثل « الرحمة » و « الشفقة والحب » و « رقة المشاعر » ، وماشابه ذلك كلها كلمات وجمل وعبارات سلسلة تميل الى البساطة والى السهولة فى التركيب لتدل على أسمى المعانى الانسانية ·

اما القسم الرابع فهو ذلك القسم الذى يميل فيه البطل الى التفكير فى نفسه وفى ذاته · هنا تميل الجمل أيضا الى التعقيد من حيث التكوين والمعنى والمرمز فهو مثلا يرى نفسه وقد ملك منه اليأس الذروة أنه « حى بلا حياة كجثة محنطة » وهو « كفأر يتهدده السم والقطط وهراوات المشمئزين » وهو « ميت » منذ انطلقت رصاصته العمياء وهو أيضا « وحيد بمعنى الكلمة » · كل ذلك على عكس ما يلمسه القارىء فى نظرة سعيد لنفسه فى أول الرواية ففى الفصول الأولى وفى الفصل الأول على وجه الخصوص وقد خرج سعيد لينتقم وما كانت نسمات الحرية التى يستمتع بها الآن الا دافعا قويا له لتشديد قبضته على « الخونة » و « الكلاب » · لذلك فعندما بدأ فى اظهار تلك الرغبة

الجامحة فى الانتقام لنفسه بغض النظر عن الوسـيلة أو النتائج نجد أن كلماته وجمله القصـيرة كانت تميل هى الأخرى الى اظهار نوع من التحدى والقوة والبأس وكان العدو » هو الجبان الخائف وتنطبق عليه الكلمات والجمل الوصفية التى وصف بها نفسه فى نهاية القصة « ففى هذه الزورة البريئة سيكشف العدو عما أعده للقاء ، فادرس طريقك ومواقعه ، وهذه الدكاكين التى تشرئب منها الرؤوس كالفيران المتوجسة .. » . كذلك كان سعيد مهران يصف الخونة « بالخنفساء » و «الثعبان» و «الكلاب» والزواحف عامة أما فى وصفه لنفسه فقد كان كما أسلفنا معتزا بنفسه وفى بداية طريق الانتقام وقد وضع كل ذلك غشاوة سميكة على عينيه وصب فى ذاته غرورا من الصعب تدارك مداه فنجده يستخدم كلمات وجملا وصفية مثل « سيقف عما قريب أمام الجميع متحديا » و « آن للغضب أن ينفجر وأن يحرق » و « جاءكم من يغوص فى الماء كالسمكة ويطير فى الهواء كالصقر ويتسلق الجدران كالفأر وينفذ من الأبواب كالرصاص » و « لن أقع فى الفخ ولكنى سأنقض فى الوقت المناسب كالقدر » ولتكن ضـربتك قوية « الى آخر ذلك وكلها جمل وصفية تدل على الكراهية والرغبة فى الانتقام .

ولا تخلو القصة من لحظات هدوء نفسى ورومانسية تبرز من حين لآخر من بين هذه الاحراش المليئة بالقتـل والكراهية والدماء . وفى لحظات الهدوء النفسى والنسبى لسعيد مهران نجده يميل نحو الرومانسية وتميل كلماته تبعا لذلك الى الصفاء والجمال نوعا ما وان أنهى الجملة بذكر الخيانة التى انطبعت كلماتها فى وجدانه ونكراه على أى حال . ومن أمثلة ذلك تلك الصور الشعرية الجميلة التى يستخدمها محفوظ فى وصف قصر رؤوف علوان كما يراه

سعيد مهران عن بعد وهو فى سبيله لاعداد خطة لغزوه حيث « بدا القصر مسدل الجفون تحرسه الأشجار من كل جانب كالأشباح وقد نامت الخيانة فى هدوء ع لا تستحقه البته » ص ٤٩ ، أو تلك الصورة الش رية الرومانتيكية الجميلة لوصف النيل أمام بيت رؤو عوان حيث « جرى النيل كأمواج من الظلام تتغرس فى جنباتها أسهم الضياء المنعكسة من مصابيح الشاطىء · وساد صمت شامل مريح ، ثم دنت النجوم من الأرض عندما اقترب الفجر » ص ٤٩ ·

والأمثلة كثيرة وكثيرة جدا فقلما تخلو صفحة من صفحات قصة « اللص والكلاب » من صورة أو رمز أو لفظ جميل وهى كلها تمثل حقا قوة مترابطة ووحدة كاملة تغوص فى تطورها الى المعنى الشامل المتكامل لفكرة الكاتب المحورية التى أراد أن يعبر عنها ويظهرها من خلال تيار الشعور لبطل قصته سعيد مهران ·

ويمكن تلخيص كل ذلك فيما يلى : ان المرء هنا وهو بصدد قصة « اللص والكلاب » انما يتعامل مع الكلمة والحرف والرمز والصورة الشعرية والتركيب اللغوى المعقد والأسلوب الأكثر تعقيدا ناهيك عن الكاتب نفسه والذى وان لم يظهر متطفلا فى العمل على أبطاله الا أنك لا تملك الا أن تشعر به فى ذاتك واحساسك من خلال لغته الشعرية ومن خلال تمكنه من موضوعه بحيث أتت القصة فى شكل متكامل فنيا وتقنيا ·

ومن هذا المنطلق وعلى ضوء ما سبق كان على ان أعيد قراءة القصة مرات ومرات حتى أتمكن من استيعاب تلك

الألفاظ والجمل والتركيبات قبل البدء فى الترجمة الفعلية ·
بعد ذلك كله بدأت فى الترجمة والتى أخذت منى الجهد كل الجهد بحيث انتهت المسودة الأولى بعد ثمانية أشهر تقريبا· أما الترجمة فى صورتها النهائية لقصة « اللص والكلاب » فقد أخذت منى عاما كاملا تقريبا ·

ومن خلال هذه التجربة تأكد لى تماما أن الترجمة فن وابداع · وفى الحقيقة أنا لا أتفق كلية مع من يرمى بأن الترجمة هى فقط المقدرة والتمكن من اللغتين المترجم منها والمترجم اليها · صحيح أن التمكن من اللغة عنصر هام من عناصر الترجمة ولكنه على أية حال لا تشكل بحال من الأحوال حجر الرحى أو الركيزة الأساسية فى هذا الفن وخاصة فى حقل الآداب والعلوم الانسانية عامة حيث يطلب من المترجم الجيد الى جانب اجادة اللغة وتمكنه منها أن يكون ملما بطبيعة العمل الأدبى القائم بترجمته وأن يدرس خلفيات هذا العمل وخلفيات العصر والمؤلف وربما أيضا معاصريه ومن سبقوه أو بمعنى آخر أن يكون لنفسه خلفية عن العمل المزمع ترجمته حتى يتمكن من فهم أفكار وروح الكاتب ومايرمى اليه وما شابه ذلك وبذلك يسـتطيع أن يخرج لنا عملا مترجما راقيا وهنا فقط نستطيع أن نطلق عليه لقب المترجم المبدع · أما من يقرأ العمل أو قد لا يقرأ شيئا بل يبدأ فى الترجمة وهو يجهل كل الجهل تلك العوامل والعناصر التى سبق ذكرها يمكن أن نطلق على ما ترجم وبدون تردد ترجمة ميكانيكية وقد تكون رديئة ليس من حيث الأسلوب واللغة فحسب بل من حيث الامانة والالتزام بالنص وبفكر المؤلف أيضا · وأى مترجم من هذه الفئة التى لا تستطيع أن تتفاعل مع النص ومع المؤلف لا يحق أن نطلق عليه لقب مترجم ·

الفصـــل الثـــالث :

واكتفى الى هنا بالسرد عن التجربة الشخصية وعن رسالتى وانتقل الى موضوع البحث أو بالأحرى الى نجيب محفوظ الكاتب المفكر والفيلسوف لابداء وجهات النظـــر وتقديم انطباع شخصى عن جانب من جوانب اهتمامات هذا الكاتب الكبير وذلك من خلال كتاباته الا وهو الفرد فى المجتمع المتطور دوما وما يحمله هذا التطور من معاناة ومأساة وعذاب للفرد فى محاولاته الجادة والتى غالبا ما تضيع فى ايجاد سبيل حياة لنفسه . وحتى يتسنى لى ذلك كان من الضرورى لاكتمال الفكرة أن أبدأها باجراء مقارنة بسيطة بين نجيب محفوظ وبين كتاب عالميين آخرين مثـل

جيمس جويس وفرجينيا وولف وتشارلز دكنز وهمنجواى ووليم فولكنر ومعظمهم قد نالوا جائزة نوبل أيضا .

وقد لا يكون فيما أقوله أى جديد خاصة عن نجيب محفوظ الذى كتب عنه النقاد والباحثون أطنانا من الصفحات ومازال الميدان متسع للكثير والكثير مما سيكتب عنه لماذا ؟ لاننا دوما نكتشف فى أدبه أشياء لم نكن نعرفها من قبل وأيضا لأنه الكاتب المثابر المعطاء فلا يمر عام الا وطلع علينا بعمل ابداعى جديد وان كنا نجد فيه روح نجيب محفوظ وعقله وفلسفته الا أن كل عمل جديد يقدم للقارىء فيه زوايا جديدة ورؤى جديدة عن الطبيعة البشرية والنفس الانسانية لرجل العصر ومشاكل العصر السياسية والاجتماعية وغير ذلك وقلما نجد نجيب محفوظ يكرر نفسه وهذه ميزة من أهم المميزات فى أى كاتب ملهم لا ينضب معينه ولاتفرغ جعبته بسهولة وهو هنا أشبه ما يكون بالشجرة الجميلة الباسقة التى تنفض ماعليها من أزهار وخضرة فى فصل الخريف لتنتج أزهارا أكثر جمالا وأبهى منظرا فى فصل الربيع .

وقد حتم على تخصصى فى الأدب الانجليزى ودراستى فى أمريكا أن أقرأ لكتاب عالميين وهم كثر . وبالطبع فلكل أسلوبه فى الكتابة الا أن ماجمع بين هؤلاء فى النهاية هو مقدرتهم على دراسة النفس الانسانية والطبيعة البشرية ومقدرتهم على ابتداع أنماطا حية تعيش معنا بل ونصادفها ونحتك بهايوميا فى حياتنا المعاصرة .

وسنحاول هنا أن نعطى بعض الأمثلة عن بعض الكتاب العالميين وما ابتدعوه من أنماط خالدة توطئة لعقد المقارنة

بين نجيب محفـــوظ وبينهم وما ابتدع هو الآخـــر من شـــخصيات وانماط واثبات أن نجيب محفوظ لا يقل عن هؤلاء الكتاب مقدرة فى اثراء الأدب والمجتمع بأنماط خالدة عالمية ٠

ولو بدأنا بجيمس جويس مثلا نجد نمطا حيا هو بطل ســـلسلة رواياته وقصصه القصيرة ستيفن ديدالوس ذلك الشاب الفنان الذى يبحث عن ذاته وهى دراسة للفنان وما يعانيه فى سبيل ابداع العمل الفنى ونجد فى فولكنر مثلا عدة أنماط من أهمها « الصوت والغضب » والتى تقوم على تيار الشعور لشخصيات أربع ونجد أن فولكنر قد ابتكر لنا نمطا جديدا لشخصية فاقد العقل أو المجنون أو المتخلف عقليا وهو بنجامين كومبسون والذى نجوب مع تيار شعوره فى أفق واسع فيحكى لنا نفس ما سيحكيه أخويه والمربية تقريبا الا ان هذا يكون من وجهة نظره هو ، وجهة نظر المتخلف عقليا ونحس احساسا عميقا بفلسـفة المجنون وكأنما هو يطبق المثل القائل خذوا الحكمة من أفواه المجانين ٠ أما فى روايته الأخرى والتى لا تقل أهمية وهى « وانا على فراش الموت »(٧) تظهر عبقـــرية فولكنر فى أنه كان قادرا على ابتداع أكثر من نمط وكل هذه الانماط تعبر بصدق عن تلك الفترة وعن حياة الطبقة المتوســـطة فى الريف الامريكى ومعاناتهم والقصة فى حد ذاتها تدور حول الآثار المترتبة حول موت ودفن ادى بندرن من قبل أفراد العائلة المكونين من آنز وكاش ودارل وجويل وفاردمن والابنة دوى دل والذين يتعهدون لآدى وهى على فراش الموت أن يقوموا بدفنها فى جيفرسون مهبط رأسها والتى تبعد عشرات الأميال عن مكان اقامتهم ٠ وأيضا عن طريق تيار الشعور لجميع

هذه الشخصيات يبتكر لنا فولكنر انماطا عدة منها نمط آدى نفسها ورغبة الموت وآنز الزوج الذى لا يملك اقدرة حيلة والابناء كل منهم فى وادى يتغنى بليلاه واثناء هذا التغنى ــ ان جاز لنا ان نستعير هذا التشــبيه ــ يدور الصراع بين كل نمط ونفسه ليعبر عن مأساة حياة بائسة ، أى مرة أخرى نصادف نمط المتخلف عقليا ونمط الزوج المثالى الى حين والابناء كل منهم تســيطر عليه أفكاره الخاصــة به ..

ولو تعرضنا لكاتب عالمى آخر وهو جون شتاين بك سنجد أنه هو الآخر كان قادرا على ابتداع انماط مؤثرة خاصة فى روايته العظيمة « ثمار الغضب »(٨) والتى تعبر ــ وبصدق ــ عن فترة المعاناة اثناء سنين القحط فى امريكا وتنعكس هذه المعــاناة على الشــخصيات والفــلاحين ومعاناتهم وهجــرتهم الى كاليفورنيا مهد الذهب واحتيال رجال المال وبنوك الرهن ورجال الاعمــال عليهم حتى يسلبوهم ما تبقى لديهم ليعيشوا على الكفاف . ومن أهم هذه الانماط يبرز لنا نمطان هما الام جود والابنة المدعوة روز اف شارون أو وردة شارون . وعلى الرغم من كل المصــاعب والمشــاكل التى تقابلهم وهم فى طريق رحلتهم الطويلة من ولاية أوكلاهوما الى كاليفورنيا بالعربات التى تجرها الخيل والبغال استطاعت الأم جود أن تجمع افراد العائلة حولها وان تقودهم وتسوسهم لئلا يصابون باليأس أو يتسربوا فرادا وجماعة اثناء الطريق الشــاق المغبر وكانت أشبه برجل قوى المراس وهى نمط للأم وربة البيت القوية القادرة التى تتحلى بصفات كثيرة اضــعفها قوة الشخصية وحسن القيادة والحب والعطف لأفراد العائلة .

أما روز أف شـــارون فهى تبرز كنمط من خلال معاناتها الشديدة اثناء الرحلة القاسية الى أن تفقد العائلة كل زاد يقيها ويلات الموت جوعا وتعانى هى الضعف ضـــعفين لكونها فى أيام حملها الاخيرة . وتضع روز طفلا ميتا . وفى أثناء معمعة الأمطار والأوحال تفقد العائلة أيضـــا عرباتها وتضطر الى السير على الاقدام الى أن يعثروا على حظيرة للماشية فتقرر الأم جود أن يقضوا ليلتهم فيها . فى الحظيرة يجدون غلاما صغيرا يحاول أن يلهى والده المسن عن الجوع . عندما تجد روز أن العجوز على شفا حفرة من الموت جوعا تضـــحى بكل شىء وتلقمه ثديها الريتوى من حليب الام كل هذا رغم فاقة العائلة وتضورهم جميعا جوعا فلم يكونوا أحسن حالا من العجوز على آية حال .

وهناك آخرون غير فولكنر وشتاينبك وان كانوا لايقلون عنهما شهرة ومقدرة ان لم يتعدوها مثل ارنست همنجواي مثلا والذى يطول الكلام عنه لكثرة ما أوجد من أنماط مثل فردريك هنرى الذى يهرب من الحرب وويلاته وكأنه بذلك يوقع معاهدة سلام بمفرده فى رواية « وداعا للسلاح »(٩) ومثل روبرت جوردن الذى يحارب فى صفوف الأسبان دفاعا عن حرية الفرد فى رواية« لمن تقرع الاجراس »(١٠) وجيك بارنس الصحفي الذى فقد قدرته كرجل خلال الحرب العالمية فـ ب من ويلات الحرب الا أنه يواجه ويلات المشـــكلات ا سية وما خلفته الحرب فيه وفى أمثاله من مشاكل جسدية و ية الى آخر ذلك وذلك فى رواية «وتشرق الشمس»(١١) و لة كثيرة ولكن النمط المفضل عند الكثيرين ومنهم على اعتقد كاتبنا الكبير نجيب محفوظ هو نمط العجـــوز

سانتياجو فى رواية « العجوز والبحر » حيث أنه صـورة مشرفة للرجل المسن فهو بالرغم من ابتعاد الجميع عنه بحجة انه لم يعد قادرا على العمل لم يترك اليأس طريق الى نفسه واثبت للجميع مدى عزيمته وصـبره اذن فهو النمط المثالى للرجل المسن الصابر القوى الايمان بنفسه وبقدرته وبخبرته الطويلة فى الصيد وبحكمته التى اكسبته اياها السنين ، نفس السنين الطويلة التى جعلت الجميع يبتعدون عنه ولا يشركونه فى رحلات الصيد معهم ٠

ومن الروائيين العالمين أيضا نجد هرمان ملفيل الذى عرفنا على نمط مثل بلي بد البحار فى رواية «بلى بد»(١٢) وأظهر لنا كيف كان أى بحار فى ذلك الوقت (نهاية القرن التاسع عشر) يعانى من ظلم وتعسف البحرية الأمريكية ٠ وفى الحقيقة لا يتكلم المرء عن ملفيل الا ويتذكر أعظم نمطين خالدين له وهما شخصيتا موبى دك الحوت الأبيض العملاق وكابتن ايهاب كابتن السفينة بكوك فى رواية « موبى دك الحوت الأبيض »(١٣) وكابتن ايهاب هو من تلك الانماط الذى يسيطر عليها الشر ، شـر الانتقام فيقوده حقدد والرغبة فى الانتقام الى حتفه على يد الحوت الأبيض موبى دك والذى يرمز كما يعتقد كثير من النقاد الى أشياء كثيرة من أهمها أنه رمز للعدالة السـماوية وقوة الخـالق والطبيعة ٠

أما فرجينيـا وولف فلها مثـلا كلارسـا دواليه وسبتيموس سمث المختل فى رواية « مسز دالويه » ومسز رامزى وليليى برسكو فى رواية « الى الفنار » وهى من روايات تيار الشعور ٠ وهى انماط تمثل المعاناة والصبر والاصرار على بلوغ الهدف ٠

ولا يحق للمرء أن ينسى كاتبا عالميا فرنسيا فى هذا المجال وأعنى به مجال ابتكار الانماط الانســانية ،هو جوســتاف فلوربيرت ويكفيه أنه ابتدع ايما بوفارى فى روايته الانسانية العظيمة « مدام بوفارى »(١٤) وهى نمط معاناة سيدة فقيرة تنتقل الى وسط أعلى من وســطها بالزواج من الدكتور بوفــارى ولــكنها تتعطش للحب والرومانسية ومغامرات أحلام اليقظة التى تمارســها فى لحظات الملل لكثرة انشــغال زوجها عنها بأعماله الطبية وكل ذلك يقودها فى النهاية الى حتفها منتحرة لتتخلص من الملل ومن الاثم معا . انها تعكس لنا وبصورة واضــحة ما يفعله الفراغ والملل وخاصة فى حالة عدم تكافؤ الطرفين فى زيجة تمت فى شكل سريع أعجب الطبيب بجمالها وكانت هى تتوق الى حياة أفضل ، حياة بنت صرحها شامخ فى أحلامها التى لم ولن تتحقق ..

ولن أطيل كثيرا ولكن قبل أن أنتقل الى نجيب محفوظ موضوعى الرئيسى أحب أن أذكر وفى عجالة ثلاثة كتاب عالميين آخرين وكل ذلك فقط حتى نظهر فى النهــاية بأن محفوظا لا يقل عنهم عالمية وأنه تخطى الكثير منهم فى هذا المضمار . أول هؤلاء أود أن أشير الى كاتب عملاق يأخذ محفوظ منه فى أعماله شبها كبيرا وهو تشارلز ديكنز ومرة أخرى أنوه بصعوبة تناول أعماله كلها لضيق المجال الا اننا نود أن نذكر على سبيل المثال عدة انماط خالدة ابتدعها هذا الكاتب العظيم الذى كان بحق مرآة عصره وكان خير من يعكس هموم ومشاكل الطبقات الدنيا فى مجتمعه .. ومن أهم الانماط فى الأدب مثلا شخصية مستر بكويك فى رواية « أوراق المستر بكويك »(١٥) وهو ذلك العجوز المرح

الذى يقابل كل هموم الدنيا بابتسامة ومرح ونكتة ، كذلك نجد شخصيات وانماط خالدة مثل أوليفر تويست وديفيد كوبرفيلد وبب فيليب فى الروايات على التوالى « أوليفر كوست »(١٦) و « ديفيد كوبرفيلد »(١٧) و « الآمال العريضة »(١٨) وكلها تظهر معاناة الأطفال والشباب والظلم الاجتماعى والفقر واليتم والمناجم وتشغيل الأطفال فيها وما شابه ذلك ٠

أما الروائى الآخر فهو ستيفن كرين ويكفيه انه ابتدع لنا شخصيتين لا تنسى أولهما شخصية هنرى فلمنج فى رواية «عصابة الشجاعة الحمراء »(١٩) والتى تدور احداثها عن الحرب الأهلية الأمريكية وهنا يذكرنى فلمنج بهاملت ومقولته الشهيرة « أكون أو لا أكون »(٢٠) أو بالأحرى « أفعل أو لا أفعل » كما أراها ويدور الصراع هنا بين البطل ونفسه هل يظل فى الميدان يحارب وقد يصبح بطلا ميتا أم يهرب وينجو بنفسه وان أصبح جبانا ٠ والنمط الآخر لستيفن كرين هو ماجى فى رواية « ماجى ابنة الشوارع »(٢١) وهى تمثل نمطا حيا لمدى تأثير الوراثة والبيئة والفقر على الفرد وكيف يقوده كل ذلك الى الانحراف والى النهاية الحتمية وهى الانتحار فى حالة ماجى مثلا ٠

وأخيرا فان أفضل مثال نختم به هذا الجزء الخاص بالكتاب العالميين وما ابتدعوه من أنماط لا يكون الا من « مرتفعات وذرنج »(٢٢) لاميلى برونتيه حيث يبرز لنا نمطا يبدأ طيبا الا أنه ينقلب الى شرير وشيطان وهو بطل الرواية هيثكلف الذى تعميه رغبته فى الانتقام عن ما سواها فيدمر

الجميع ويدمر نفسه فى النهاية تماما كما فعل ماكبث(٢٣) حتى يحقق مطـــامعه وكلاهما طبقا الأمثـــال والمقولات المشهورة « ليكن من بعدى الطوفان »(٢٤) أو « على وعلى أعدائي »(٢٥) أو « اذا مت ظمأنا فلا نزل القطر »(٢٦) كما يقول الشـــاعر أبو فراس الحمدانى • وهيثكلف وماكبث وكل من هم على شاكلتهم يجب أن تكون نهـــايتهم مريعة كحياتهم تماما مثل نهاية سعيد مهران الذى أعماه الحقد والغضـــب والرغبة فى الانتقام عن تقدير الواقع والأمور ووزن كل شيء بميزان العقل والمنطق فكانت نهايته أسوأ نهاية •

وبالطبع هناك غيرهم الكثيرون ولن نتعرض لهم جميعا •• وما يجمع كل هؤلاء الى جانب عالميتهم ابداعهم فى تصوير الشخصيات والاجواء المعاصرة والتى تنطبق على كل زمان ومكان بل وعلى كثير منا فى وقتنا الحاضر •• والميزة الأساسية هى مقدرتهم فى ابتداع أنماط خالدة وكل نمط منها انما يمثل شريحة معينة من المجتمع بخيره وشره، بفرحه وغضبته •

الفصـــل الـــرابع :

ولو انتقلنا الآن الى نجيب محفوظ يمكننا أن نقولها وبصـــراحة مطلقة بأنه ان لم يبذ معظم هؤلاء الـــكتاب العالميين وغيرهم فهو على الأقل يتساوى فى عالميتهم وقد صرح كاتبنا الكبير مرارا بأن العالمية تبدأ من المحلية وهذا وأيم الحق لهو عين الصواب فحتى نصل الى العالمية يجب أن ننكب على مشاكلنا المحلية فحصا وتمحيصا ودراسـة نظهر السيىء منها لتلافيه واصلاحه والحسن فيها لتدعيمه وتنميته أو بمعنى آخر يجب أن نبدأ بالمثل القائل « اعرف نفسك » ٠

وهذا ما فعله محفوظ فقد كان غاية همه ومبتغـــاه منصبين على دراسة الفرد فى المجتمع المحلى وخاصـــة

مجتمع الطبقة الكادحة . درس ومارس ولاحظ وعاصر مشاكل هذا المجتمع قبل أن يكتب عنها وعندما كتب ابتكر لنا انماطا لشخصيات عالمية لا تنسى ارتقى بها وبغيرها الى مصاف الكتاب العالميين العظام .

وسنحاول فيما يلى اعطاء صورة سريعة لتلك الانماط والشخصيات الخالدة التى ابتدعها نجيب محفوظ وهى وان كانت منتقاة بصورة عشوائية الى حد ما الا اننا نأمل انها تؤدى الغرض وهو محاولة مدى مقدرة نجيب محفوظ ككاتب عربى فى ابتداع شخصيات وانماط خالدة مثله تماما كمثل أى كاتب عالمى ممن أشرنا اليهم أو من لم نشر اليهم فيما سبق .

لا يختلف اثنان أن من بين جميع الشخصيات أو الانماط التى ابتدعها نجيب محفوظ يبرز دائما فى المقدمة ذلك النمط المعروف لدى القاصى والدانى بما فيهم الكثير ممن لم يقرأ محفوظ البته وهذا النمط هو « السيد كمال عبد الجواد أو « سى السيد » أهم شخصية فى ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة وهو نمط لذلك الزوج والأب والرجل المتزمت المتصلت الشديد المحافظ فى بيته . كلمته مطاعة من الجميع والويل لمن حاول حتى مناقشته فى شىء قال أو يقوله . أما خارج المنزل وفى شلة الأنس والمرح فهو شخص مختلف تماما مرح بشوش يجرى وراء رغباته ولا يحسب للوقت أو للمال حسابا . والنمط الثانى من نفس الثلاثية هو زوجته أمينة ، وهى مثال الزوجة المدبرة الصابرة والأم الرؤوم وهى تؤدى دور الزوجة على الوجه الأمثل وفى معاملتها لزوجها « سى السيد » نأخذ انطباعا مباشرا أننا أمام سيد ومسود . والثلاثيةتقدم لنا أكثر من هذين النمطين

ولو تمعنا فى شخصياتها لوجدنا انها أى الشخصيات تعبر بصدق عن تلك الفترة بما تحمله من أفراح ومنغصات وهى الفترة التى كانت خلال الاحتلال البريطانى لمصر وظهور الوفد المصرى ففهمى يمكن أن يعتبر نمطا ومثال لجيل الثورة ضد الانجليز وهو يمثل كل الشباب الطموح الراغب فى الاستقلال لذاك فهو يستشهد فى المظاهرات المطالبة برحيل الانجليز والحصول على الاستقلال اما كمال فهو نمط للشباب الذى يعانى الألم والحيرة لكل الأحداث فى مرحلة تاريخية مريرة ويطول بنا الحديث لوأشرنا الى باقى أفراد العائلة والشخصيات التى تزخم بها الثلاثية فغالبية تلك الشخصيات يمكن اعتبارها انماطا تمثل الحيرة والعذاب وتمثل الشباب وتمثل تسلسل الاجيال كما نلاحظ ان جميع الانماط تكمل بعضها البعض مكونة بذلك بانوراما متناسقة من الأنماط والنماذج الانسانية والشخصيات الحية والتى يندر أن نجدها لدى غالبية الكتاب والروائيين العالميين .

ومن الانماط المحببة الى نفسى شخصيا هو « سعيد مهران » ذلك اللص المخدوع الذى ينساق وراء أحلامه وآلامه وأمانيه لتقوده ـ كل هذه ـ الى حتفه ومصيره المشئوم وهو فى رأى وكما عبرت عنه فى عنوان رسالتى لص يبحث عن ذاته ولا يجدها لأنه لا يرغب فى العثور عليها بغبائه وتصلبه وهو نمط من تلك الانماط التى تدعى العلم والثقافة بينما هو فى حقيقة الأمر يرزح تحت عبء كابوس فظيع اسمه عزة النفس الزائفة والجهل المطبق الذى يقود صاحبه للتهلكة .

أما « نور » وهى أيضا فى رواية « اللص والكلاب »

فهى النمط والرمز للعفة والطهارة فى ذات نفسها وان كانت مهنتها وظروف حياتها حتما عليها سـلوك طريق البغاء وينطبق عليها تماما الوصف الذى نعت به ستيفن كرين بطلة روايته ماجى والتى كانت تسلك نفس طريق نور حين وصـفها بأنهـا « وردة زرعت وأينعت وترعرعت فى الوحل »(٢٧) ٠

وسأكتفى بهذين النمطين من قصة « اللص والكلاب » وان كان رؤوف علوان يبرز دائما أمام عينى كنمط لمدعى العلم والثقافة والمعرفة وما هو فى حقيقة أمره سوى انتهازى ومنافق يلبس لكل مناسبة قناع كما يقول ت٠أس٠اليوت فى قصيدته « أغنية حب ج ٠ الفرد بروفسروك »(٢٨) وفى رواية « الطريق » نرى « صابر الرحيمى » نمطا مشوشا يبحث عن أبيه أو عن الحقيقة المطلقة الا أنه فى أثناء عملية البحث يحيد عن الطريق وينتهى الأمر بجريمة قتل يرتكبها ويقبض عليه ٠ وفى رواية « القـاهرة الجديدة » نرى « محجوب عبد الدايم » نمطا واضحا للقواد كما نصادف أنماطا كثيرة لطلبة الجامعات والموظفين الكادحين والمثقفين الذين يحاولون أن يظهروا بمظهـر الأوربيين فى فكرهم ونهجهم متنكرين لفكر موطنهم عن جهل ، انها بحق أنماط تعبر عن فساد وانحلال الطبقة الاستقراطية فى الثلاثينات ٠

وفى « خان الخليلى » والتى تعكس وبصدق ما يجرى فى الاحياء الشـعبية وساكنيها الكادحين والمصهورين فى بوتقة العمل اليومى ومشاكل الحياة وما يعانيه صـغار الموظفين وغيرهم من متاعب ومصاعب فى سبيل توفير «لقمة العيش » والحياة الشريفة ، من خلال هذا الحى تبرز لنا عدة أنماط لعل من أبرزها على الاطلاق شخصية المحامى

راشد ذو العين الواحدة الذى يظل كنمط قاصـر لا يرى الحياة الا بعين واحدة وهو نمط واضـح لما بينه نجيب محفوظ بالصورة والرمز فى شخصية المحامى راشد كونه يلفظ المادية والمادة وكل مايمت اليهما بصلة حفاظا على صـلات الفرد بأخيه الفرد وحفاظا على القيم والاخلاق النبيلة فى المجتمع ·

وتأتى قصة « زقاق المدق » الشـهيرة ليقدم لنا من خلالها الكاتب نمطا آخر وهو « زيطة صانع العاهات » · وهنا يقدم لنا الكاتب أيضا صورة حية ودقيقة للاحيـاء الشعبية وخاصـة فى فترة انتهاء الحرب العالمية الثانية وكيف حاول كل من حاول أن يعمل أصـابع التغيير فى المجتمع الصـغير ، مجتمع زقاق المدق تبعا لتغير الزمن والعصر

وفى كلتا القصتين نجد انماطا مختلفة لصانعى العاهات والشواذ وأبناء البلد الذين يتسـمون بالطيبة والرجولة والفداء من أجل مجتمعهم الصغير وسـاكنيه وهى كلها أنماط صادقة معبرة عن حياة ومشاكل ومآسى تلك الطبقة الكادحة ومستوحاة من المجتمع المحلى الواقعى ·

أما فى « السراب » فتواجهنا عقدة أوديب وما يلازمها من مشاكل وصراعات نفسية بين الشخصية ونفسها والعالم المحيط بها كل تلك متمثلة خير تمثيل فى نمط رسمه محفوظ بدقة متناهية وهو « كامل رؤية لاظ » ·

أما فى رواية « الشحاذ » فنلتقى « بعمر حمزاوى » الشاعر الفاشل والذى يصوره لنا نجيب محفوظ كنمط حى

لكل فاشل يبذل كل المحاولات ولكن بدون جدوى حيث تذهب محاولاته تلك ادراج الرياح وتكون النتيجة الحتمية انه يعانى مما يدور فى داخله من صراع قوامه الشك والحيرة والألم والتشتت ٠

ولو نظرنا نظرة عابرة الى رواية « ثرثرة فوق النيل » لوجدنا أنها مليئة بالانماط هى الأخرى كالعوامة نفسها التى ترمز الى الانحلال والفسق والضياع فى محاولة لنسيان أو تناسى الواقع المرير ـ واقع ما بعد ٦٧ ووسط هذا الزخم الضخم من الرموز يقدملنا نجيب محفوظ مثلا نمط الصحفى الذى يمكنه أن يتنكر لكلمته ومبادئه فى أى لحظة ، كذلك نرى انماطا أخرى مثل المحامى والنصاب والفتاة الجامعية ذات الثقافة الضحلة والصحفية التى تبحث عن الحقيقة كذلك نجد نمطا آخر وهو العم صالح والذى مثله مثل الكثير من شخصيات محفوظ مثل « عامر وجدى » فى « ميرامار » فهم يمثلون الجيل السابق بكل ما يملك من خبرة وتجارب وحنكة ٠ وعموما فان تلك الانماط المختلفة التى يقدمها لنا الكاتب فى « ثرثرة فوق النيل » تمثل فى مجموعها انماطا لجيل ما بعد النكبة ولأناس يجدون أنفسهم فى ضياع ويجدون مخرجهم الوحيد للتناسى فى الكيف وكلهم آذان صماء لنداء العم أنيس وهو يحذرهم بأن يفيقوا من غفلتهم ولكن لا حياة لمن تنادى ٠

ولا نستطيع ونحن فى هذه العجالة أن نتجاهل « ميرامار » التى تزخر بالانماط والتى من أهمها فى رأى هو نمط « زهرة » تلك الفتاة العفيفة المكافحة والتى ترمز لمصر فى عفتها وجمالها وصلابة عودها على الرغم مما يقابلها من اغراءات ومحاولات للايقاع بها من قبل كل من حولها ٠

و « ميرامار » ماهى الا صـــورة أخرى من جيـل أحس بالضياع أيضا وبدلا من ايجاد المخرج والحـــل أخذ فى التراخى والاستسلام للمصير فى بنسيون « ميرامار » فى الاسكندرية ٠

وفى هذه الرواية يصور لنا الكاتب «سرحان البحيرى» الذى أحبته« زهرة » كنمط لانســـان مذبذب وغير ثابت ولا يثق فى شىء ولا حتى فى نفسه وتقوده لحظات الضياع هذه الى احتراف الانتهازية والاحتيـــال وحب الذات بلا حدود ٠ اما « حسونة » ـ بائع الصحف فهو يمثل النمط الصادق لانقاذ « زهرة » أو بالأحرى لانقاذ مصر عن طريق العلم والمعرفة والمتمثلة هنا فى الصحف والكتب والمجلات ٠

وفى رواية « حضـرة المحترم » يواجهنا نمط الموظف البيروقراطى « عثمان بيومى » ذلك الموظف الذى يعيش على أحلام اليقظة فى محاولات مستميتة لتخطى الواقـــع وتحسين أوضاعه فى عمله ولكن دون جدوى ولا يتحقق ما يريد الا وهو على فراش الموت ٠ « وعثمان بيومى » هو نمط آخر للموظف بمشاكله ومتاعبه وتضـحياته وآلامه وأحلامه والتى تنصـــهر كلها فى بوتقة واحدة اســـمها المستحيل ٠

وفى « قلب الليل » تدور الفكرة المحورية حول احياء خان جعفر والحسين وحول « جعفر الراوى » ابن الاثرياء الذى بدد ثروته فيما لا طائل تحته وبدأ يهيم على وجهه فى محاولة لايجاد طريقة للسلامة والخلاص ٠

أما فى « بداية ونهاية » فنجد حسنين هو أفضل نمط

للشباب المتطلع دوما الى ماهو أعلى من مستواه الاجتماعى وبالطبع فهو يقابل بالفشـــل والاحبـاط عندما يتقدم بعد حصوله على رتبة ضابط الى احدى العوائل الثرية طالبا الزواج فلتفظه تلك العائلة لأنه دون المستوى • اذن فهو نمط الشـــاب الحالم المتطلع الى أعلى والبعيد كل البعد عن الواقعية أو الرضاء بواقعه وحياته بين أقرانه •

ومرة أخرى يقدم لنا نجيب محفوظ فيضا من الأنماط والشخصيات مثل « طارق رمضـــان » و « كرم يونس » و « حليمة الكبس » و « عباس كرم يونس » فى « أفراح القبة » وهى رموز انماط تمثل بواقعية مايجرى فى المجتمع من فساد وجرائم •

ويأبى كاتبنا الكبير الا أن يقدم لنا صورة أخرى ونمطا آخر للباحث عن الحقيقة المطلقة وعن المدينة الفاضلة وان اختلف الشكل والاسلوب وذلك عبر الرحلة الطويلة التى يقوم بها ابن فطومة فى رواية « رحلة ابن فطومة » والذى يعانى معاناة شديدة ويدور فى نفسه صراعا مميتا فى بحثه عن الاستقرار أو عن تلك الحقيقة المطلقة ولكنه لا يجدها وان كان هناك فسحة من الأمل فى ايجادها يوما ما حين تتحدد معالمها فى ذهنه تماما •

ونعود ثانية الى نمط الانتهازيين ولكن هذه المرة نحدد بصدد انتهازى من نوع اخر غير نوع « سرحان البحيرى » انه نمط جديد يتمثل فى « عيسى » بطل رواية « السمان والخريف » وهو نمط للفرد الانتهازى الأفاق الذى لا يجد مخرجا .لانهيار أحــلامه بعد الثورة ســـوى تحويل دفة الانتهـــازية الى اتجاه آخر مثل انتهاز واقتناص الفرص

كلما لاحت بوادرها فى الفضاء لاحراز مكاسب ومغانم شخصية تماما مثل هارى لايم ورولو مارتنز اللذين اتخذا من الانتهازية والاحتيال والخداع حرفة مربحة فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية وتقسيم فينا فيما بين القوى الأربع آنذاك فى رائعة جراهام جرين «الرجل الثالث»(٢٩) ٠

هذه بعض النماذج فقط للزخم الكبير من الانماط الحية التى قدمها الكاتب الكبير نجيب محفوظ علما بأننا لم نتعرض لكثير من الروايات والتى تزخر هى الأخرى بأنماط كثيرة لا تقل أهمية عما قدمناه هنا كذلك ولطبيعة الموضوع ولضيق المجال لم نتعرض الى أى من المجموعات القصصية القصيرة والتى يأخذنا فيها نجيب محفوظ فى رحلة شيقة ممتعة فى حافلة الأدب الرفيع ليقدم لنا من خلالها عشرات وعشرات من الانماط الخالدة والتى فى مجملها تعكس هموم طبقة الموظفين ومجتمع المقاهى والحارات والمعاناة التى ارهصت عزيمة الشباب بعد ٦٧ وما أعقبها من احباط ومرارة هذا الى جانب تلك الانماط التى تعبر وبصدق عن أثر ونتائج الانفتاح الاقتصادى على جميع فئات المجتمع ، وغيرها من الانماط التى يكثر عددها ودورها ويصعب حصرها ٠

من كل ما تقدم ، وان كان فى عجالة وايجاز ، نخرج بحقيقة واحدة وهى دور نجيب محفوظ الكاتب المبدع فى اثراء الأدب العربى بعنصر هام من عناصر الأدب وهو عنصر الانسان الفرد ودراسة ومعايشة هذا الفرد والتغلغل فى خواطر ووجدان الشخصية ومعايشة حديثها الباطنى وما يدور فيها من صراعات وآلام وأحلام ٠ كان من أهم أدوار الكاتب الكبير فى اثراء أدبنا واحياء تراثنا العربى

انه قدم لنا انماطا حية عاشت قبلنا ومازالت تعيش بين ظهرانينا وسظل تعيش مع ابنائنا وأحفادنا وان تغير الزمن وهو فى هذا المضمار كما فى غيره فيما يتعلق بعناصـــــر الرواية والقصة القصيرة الأخرى قد أثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أنه عملاق لا يقل فى اهميته وعالميته عن الكتاب العالميين ‥ ولا أعتقد بأننى أبالغ أو أغالى لو صرحت بأن نجيب محفوظ يذكرنى دائما بوليم شكسبير وذلك فى عبقريته وعمق كل منهما فى ابتداع الانماط البشرية المستوحاة من البيئة ومن العصر وتقديمها صادقة بلا زيادات ولا مغالاة ولا رتوش تجميلية لاخفاء عيوب ما أو لاظهار محاســـن لا تتوفر فى نمط ما ، وكلاهما يرفضا تتبع خطا النعامة التى دفنت رأســـها فى الرمال هروبا من الواقع المرير ٠ لذلك جاءت تلك الانماط وهى تمثل الواقع بحلوه ومره وهذا أيم الحق ما يطلبه المجتمع وما يطلبه القارىء من الـــكاتب الأمين الملتزم ٠

الخـــــاتمة :

وخلاصة القول فان كل ما قدم نجيب محفوظ من انماط ونماذج تقف شاهدا واضحا لتدل على عالمية صاحبها الذى نال وسام العالمية حتى قبل أن يناله بزمن بعيد .

اذن عرفنا الآن من هو نجيب محفوظ ولكن لماذا نشيد بمحفوظ ؟ هل لأنه أوصلنا الى العالمية ؟ أو لم نصل اليها حتى من قبل اعلان الجائزة ؟ نعم وصلنا فمن يقرأ محفوظ يخرج بنتيجة واحدة حتمية وهى أنه - أى القارىء - يشعر بأنه يقرأ لكاتب عالمى وكاتب فيلسوف لغته سلسة وجميلة وأسلوبه السهل ظاهريا يتســـم بالعمق والفكر ويتطلب القارىء الواعى الشـــغوف بسـبر أغوار الحقيقة والنفس الانسانية ومعنى الحياة حتى يتمكن من استيعاب ما قرأ

وحتى يعطى ما بين يديه من تحف فنية حقها من التقدير والاعجاب · وهذا لا يمنع بالطبع أن يقرأ بعضنا نجيب محفوظ للتسـلية وتمضية الوقت فعظمة نجيب محفوظ التى تتنـاول كتاباته دراسـة الاجيـال عظمة تكمن فى أنه يكتب ليقرأ الجميع فتجد جميع الفئات متبغاها فى كتاباته فالقارىء الباحث والمختص يسلك طريقا وأسلوبا خاصين فى قراءته والقارىء العادى يسلك دربا آخر ولكن كلا الدربين أو الطريقين يحمل فى طياته عظمة كاتب عالمى وينم عن مقدرة فائقة فى ارضاء جميع الأذواق ·

كذلك نجد أنه لم يربط الكاتب نفسه بفكر معين أو بخط بذاته أو بمدرسة محددة بل ترك لنفسه العنان وترك لنفسه التجول فى آفاق العلم والمعرفة وفى خبايا النفس الانسانية الطامحة الى العدل والحرية وكريم العيش · كما انه لم يركز على فكرة معينة بقدر ما يضع جل تفكيره واهتمامه على الفرد ، يحاوره يحنو عليه حينا ويقسو عليه أحيانا ، يدرسه دراسة العالم المتمكن ويعايشه معايشـة النفس والروح حتى يتمكن من وضع أصبعه على آلامه وأفراحه وأتراحه وطرق عيشه وبالتالى يعرض كل ذلك عرضـا انسانيا جميلا فى قالب أدبى وفكرى وان كان لا يضـع الحلول دائما ـ مثـله فى ذلك مثل الـكتاب العالميين المتمكنين ـ الا أنك تشـعر من الوهلة الأولى أن تعاطفه يتركز دائما مع الفرد البائس الـكادح الفقير وان جام غضبه قد ينصب فقط على الظلم الاجتماعى أو على رعونة الافراد أو على ما آلت اليه الانسانية من بؤس وشقاء ·

وان بدت شخصياته مصـرية صـميمة فى واقعها وتصرفها وحياتها وشخصياتها الا أننا لو تعمقنا فى فلسفة

هذه الشخصيات ومغزى كل منها ومدى الدور الانسانى الذى تلعبه فى الواقع لوجدنا ان كل شخصية يمكن اعتبارها دراسة عميقة متأنية للانسان عامة وللطبيعة البشرية وبذلك يمكننا القول وبكل ثقة ان نجيب محفوظ قد انتقل بنا الى العالمية أو بمعنى آخر أنه بتصوير شخصياته تصويرا حيا واقعيا وبما تعانيه هذه الشخصيات من مشكلات العصر الفكرية والحياتية قد تعدى نجيب محفوظ الخاصية الى الشمولية والعالمية ـ عالمية الانسان المعاصر ولم يكن « سعيد مهران » ـ بطل « اللص والكلاب » سوى رمز مصغر لهذا الانسان المعاصر المعذب والذى يقوده عناده الى المزيد من القتل والفوضى والتشرد لاحساسه وفى أعماق نفسه بظلم المجتمع له ٠

اذن فالفرد هو فى رايى محور اهتماماته قاطبة وان كان محفوظ يعرض نظاما اجتماعيا أوسياسيا أو اقتصاديا الخ ٠٠ فانما يتم ذلك عن طريق الفرد فأى نظام فى رأى محفوظ نظام ناجح أو فاسد بقدر معاناة الفرد فى ظل هذا النظام أو بقدر رفاهيته والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها مثلا : « سعيد مهران » بطل « اللص والكلاب » « ومحجوب عبد الدايم » فى « القاهرة الجديدة » والمحامى « رأشد » فى « خان الخايلى » « وزيطة صانع العاهات » فى « زقاق المدق » « وكامل رؤبة لاظ » فى « السراب » أو « عثمان بيومى » فى « حضرة المحترم » وغير ذلك كثير مما يصعب حصره ههنا ٠

ويجب الا يغيب عن أذهاننا بأن الفرد ما هى الا شريحة صغيرة وركيزة هامة من شرائح وركائز المجتمع

الكبير فالفـــرد يمثل المجتمع الصغير والذى بدوره يمثل مجتمعا أكبر وهو مجتمع الانسانية قاطبة ٠

ومما يجدر ملاحظته ان اهتمام محفوظ بالفرد لم يتغير بتغير أسلوب الكاتب وانتقاله من الواقعية الى الرمزية والى المطلق كل ما هنالك ان الأســـلوب الذى تناول به الفرد دراسة وتمحيصا قد اختلف باختلاف العصـــر والبيئة . فبدلا من أن يكون الصراع بين الفرد وبيئته ومن يحتك بهم من أفراد آخرين كما كان فى مرحلة الواقعية نجد أن ذلك الصراع قد انتقل فى مرحلة الرمزية وارتقى وأصبح معقدا بحيث أصبح صراعا بين الفرد ونفسه الا أن الحقيقة تظل جلية واضحة ففى كلا الأسلوبين يحتدم صراع الفرد ويشتد عندما يصطدم بواقع مرير قاس لا يرحم ويصـــطدم بقيم وأفكار من شأنها أن تقضى عليه تماما وتظل المشكلة هى المشكلة وهى مشكلة الفرد فى مجتمع يبحث عن الآمل فى دنيا الاشواك والآلام ٠

د / عادل محمد عطا الياس

أستاذ الأدب الانجليزى المشارك

جامعة الملك عبد العزيز بجده

قسم اللغات الاوربية وآدابها

المملكة العربية السعودية

المراجع العـــربية !

روايات وقصص نجيب محفوظ حسب ظهورها فى البحث :

« اللص والكلاب » مكتبة مصر ، الطبعة الســابعة ١٩٧٦ م ٠

« ميرامار » مكتبة مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م ٠

« الشحاذ » مكتبة مصر « الطبعة الخامسة ١٩٧٦ م ٠

« أفراح القبة » مكتبة مصر « الطبعة الثانية ١٩٨٣م ٠

« الثلاثية » مكتبة مصر ، « بين القصرين » ، الطبعة التاسعة ١٩٧٢ م ٠

« قصر الشوق » الطبعة الثامنة ١٩٧١ ، « السكرية » الطبعة السادسة ١٩٦٧ م ٠

« الطريق » مكتبة مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤

« القاهرة الجديدة » مكتبة مصر ، الطبعة التاسعة ١٩٧٤ ٠

« خان الخليلى » مكتبة مصر ، الطبعة الثامنة ١٩٧٥ ٠

« زقاق المدق » مكتبة مصر « الطبعة السابعة ١٩٧٢ ٠

« السراب » مكتبة مصر ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣ ٠

« ثرثرة فوق النيل » مكتبة مصر ، ١٩٧٣ ٠

« حضرة المحترم » مكتبة مصــــر ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م ٠

« قلب الليل » مكتبة مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ .

« بداية ونهاية » مكتبة مصر ، الطبعة العاشـــــرة ١٩٧٦ .

. « رحلة ابن فطومة » مكتبة محـــــر ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

« السمان والخريف » مكتبة مصر ، الطبعة الخامسة ١٩٧٦ .

المراجع الانجليزية :

END NOTES

1. William Faulkner. *The Sound and the Fury* : (New York : Ventage Books, 1956).

2. James Joyce. *Portrait of The Artist as a Young Man* : (Harmondsworth : Penguin Books, 1975)

3. ——————— . *Ulysses,* Ibid., 1959.

4. Virginia Woolf. *To The Lighthouse* : (New York Harcourt Brace Jovanovich, 1955).

5. ——————— . *Mrs. Ralloway,* Ibid.

6. Ernest Hemingway . *The Old Man and The Sea* : (New York : Charles Scribner's Sons. 1952).

7. Faulkner. *As I Lay Dying* : Ibid., 1957.

8. John Steinbeck. *The Grapes of Wrath* : (New York : The Viking Press, 1967).

9. Hemingway. *A farewell To Arms* : Ibid 1929.

10. ——————— . *To Whom The Bell Tolls:* Ibid.

11. ——————— · *The Sun Also Rises* : Ibid 1929.

12. Herman Melville. *Billy Budd* : (New York : Harper and Row Publishers ,1969).

13. ——————— *Moby Dick,* Ibid·

14. Gustave Flaubert. *Madame Bovary : In* Mack Maynard, ed., *The Norton Anthology of English Literature 4th* ed., Vol. 2 (New York : W.W. Norton and Company, 1979).

15. Charles Dickens., *The Pickwick Papers:* (New York : Dell Publishing Comp. Inc., 1968)·

16. ——————— . *Oliver Twist* : (New York : Lancer Books Inc., 1968)·

17. ——————— . *David Copperfield* (Cairo : The Amalgamated Publishing House. 1968).

18. ——————— . *Great Expectations* (Beirut : Library Du Liban, 1970).

19. Stephen Crane. *The Red Badge of Courage :* In Three Great Novels (Greenwich : Fawcett Publications Inc., 1970).

20. William Shakespeare : *Hamlet* : In Evan's *The Riverside Shakespeare :* (Boston : Houghton Mifflin Comp., 1974).

21. Crane . *Maggie,* Ibid.

22. Emily Bront, *Wuthering Heights :* (New York : Collier Books, 1962).

23. Shakespeare. *Macbeth,* Ibid.

24. Luis the 16th.

25. John Milton. *Samson Agonistis :* In Hughes's *John Milton Complete Works and Major Prose* (Indianapolis : The Bobbs Merrill Comp. Inc., 1957).

26. Abu Firas Al-Hamadani. *Diwan Abu Firas Al-Hamadani,* (Arabic).

27. Crane. Ibid.

28. T.S. Eliot «The Love Song of J. Alfred Prufrock» : See Norton Anthology Vol. 2.

29. Graham Greene. *The Third Man* (London : Heinmann, 1983).

BIBLIOGRAPHY

Brontë, Emily. *Wuthering Heights.* New York: Collier Books, 1962.

Crane, Stephen. *Maggie :The Girl of the Streets*, in *Three Great Novels*. Greenwich : Fawcett Publications, Inc., 1970.

——————— . *The Red Badge of Courage*, in *Three Great Novels.* Greenwich : Fawcett Publications, Inc., 1970.

Dickens, Charles. *David Copperfield. Cairo* The Amalgamation Publishing House, 1968.

——————— . *Great Expectations.* Beirut Library Du Liban, 1970.

——————— . *Oliver Twist*. New York : Lancer Books Inc., 1968.

——————— . *The Pickwich Papers.* New York : Dell Publishing Co., Inc., 1963.

Eliot, T.S. « The Love Song of J. Alfred Prufrock», in *The Norton Anthology of English Literature,* 4th ed., Vol. 2, New York : W.W. Norton and Comp. 1979.

Faulkner, William. *As I Lay Dying*. New York : Vintage Books, 1957.

—————— . *The Sound and The Fury*· New York : Modern Library, 1956.

Flaubert, Gustave. *Madame Bovary,* in *The Norton Anthology of English Literature,* 4th ed., Vol. 2. New York : W.W· Norton and Comp., 1979.

Greene Graham. *The Third Man* London : Heinmann, 1983.

Hemingway, Ernest. *A Farewell to Arms.* New York : Charles Scribner's Sons, 1929.

—————— . *The Old Man and The Sea.* New York : Ckarles Scribner's Sons, 1929.

—————— . *The Sun Also Rises.* New York : York : Charles Scribner's Sons, 1929·

—————— . *To Whom the Bell Tolls.* New York : Charles Scribner's Sons, 1930.

Joyce, James. *Portrait of The Artist As a Young Man.* Harmondsworth : Penguin Books Ltd., 1975.

—————— . *Ulysses* Harmondsworth : Penguin Books Ltd., 1969.

Milton, John. *Samson Agnostis,* in *John Milton Complete Poems and Major Prose.* Indianapolis : The Bobbs Merrill Comp., Inc·, 1957.

Melville, Herman. *Moby Dick.* New York : Harper and Row Publishers, 1969.

———————. *Billy Budd.* New York : Harper and Row Publishers, 1966.

Shakespeare, William. *Hamlet,* in *Evan's The Riverside Shakespeare.* Boston Houghton Mifflinc Comp., 1974.

———————. *Macbeth.* in *Evan's The Riverside Shakespeare.* Boston : Houghton Mifflin Comp., 1974.

Steinbeck, John. *The Grapes of Wrath.* New York : The Viking Press, 1967.

Woolf, Virginia. *Mrs. Dolloway.* New York : Harcourt Brace Jovanovich, 19.

———————. *To The Lighthouse.* New York : Harcourt Brace Jovanovich, 19

الفهـــرس

رقم الايداع ١٩٨٩/٤٥٩٤
الترقيم الدولى ٢ ــ ٢١٧٠ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

●● تجربتى مع نجيب محفوظ تجربة حلوة أشدت بها وسأشيد بها دوما لكونها من تلك التجارب التى يتعلم منها المرء الكثير والتى تفتح أمام عينيه آفاق المعرفة ودروب العلم والبحث والتقصى .

●● الكتاب القادم :

شعبية المسرح

أحمد نبيل الألفى

مطابع الهيئة المصرية

٤٠ قرشا